

مجاز القرآن

(22) فالرمانى الذى يعبر عن المجاز بالاستعارة ، يضع الاستعارة فى التطبيق موضع البحث ، إنما ينظر إليها باعتبارها عملاً مجازياً يستدل به على وقوع المجاز فى القرآن من وجه ، وعلى دلائل الإعجاز القرآنى من وجه آخر . ويبدو أن نظرة البلاغيين فى القرن الرابع من الهجرة كانت متحدة فى هذا المقياس بأطواره العام ، فهذا أبو هلال العسكري (ت : 395 هـ) قد أشار إلى المجاز بمعناه الواسع ونظر له من القرآن الكريم فى صنوف الاستعارات القرآنية ، وقد أوضح رأيه فى التنصيص على ذلك بقوله : " ولا بد لكل استعارة ومجاز من حقيقة ، وهى أصل الدلالة علة المعنى فى اللغة " (1) . ويهمنى من هذا القول أنه جعل المجاز قسماً للحقيقة ، واعتبر الاستعارة كذلك لا فرق بينهما وبين المجاز ، وكانت تطبيقاته فى هذا المنهج إستعارات القرآن . والحق أن أبا هلال كان ذا حدس إستعاري ، وحسبى ، وذائقة بلاغية ناضجة فيما أورده من شواهد قرآنية فى هذا المقام ، ففي قوله تعالى : (وقدمنى إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً *) (2) . يقول أبو هلال : " حقيقته عمدنا ، وقدمنى أبلغ ، لأنه دلّ فيه على ما كان من إمهاله لهم ، حتى كأنه كان غائباً عنهم ، ثم قدم فأطلع على غير ما ينبغي فجازاهم بحسبه ، والمعنى الجامع بينهما العدل فى شدة النكير ، لأن العمد إلى إبطال الفاسد عدل ، وأما قوله (هباءً منثوراً) فحقيقته أبطلناه ، حتى لم يحصل منه شيء ، والاستعارة أبلغ ، لأنه إخراج ما لا يرى إلى ما يرى " (3) . وكان السيد الشريف الرضى (ت : 406 هـ) قد ألف كتابين فى المجاز : لهما أهمية نقدية وبلاغية فى البحث البيانى فى القرآن وعند العرب وهما : " تلخيص البيان فى مجازات القرآن " و " والمجازات النبوية " ، وكان _____ (1) العسكري ، كتاب الصناعتين : 277 .